صورة الجزائر في شعر عز الدين المناصرة –قصيدة حيزية أنموذجا–

The image of Algeria in the Poetry of Azzedine Mounassira The Poem (Hayzia) as a model

سماح طاجين[1]

[1] جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر) s.tadjine@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/21 تاريخ القبول: 2025/11/15 تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص:

تأتي هذه الورقة البحثية لمحاورة النصوص العربية التي حاولت رسم صورة الجزائر بكل تناقضاتها وخاصة نصوص عز الدين المناصرة باعتباره رحالة أولا وأديبا ثانيا محاولين إزالة اللثام عن علاقة الأنا بالنحن ثم عن تجسيد قانون المثقافة الذي يعكسه ديوان *الشاعر* «*يتوهج* كنعان» . ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أنّ الشاعر نجح في تجسيد ملامح الحضارة الجزائرية التقليدية، ساعيا من خلال ذلك إلى التأكيد على التفاعل والتداخل بين الذات والآخر.

الكلمات المفتاحية : الصورولوجيا، أدب الرحلة، الشعر العربي المعاصر،قصيدة حيزية

Abstract:

This research paper aims to discuss the Arabic texts that tried to paint the image of Algeria with all its contradictions, especially the texts of Azzedine Elmanasra as a traveller first and as a writer second, trying to unveil the relationship between the ego and the self, and the embodiment of the law of acculturation reflected in the poet's corpus "Can'an Glows", which bears the imprint of Algeria in all its manifestations. One of the key findings of the researchis that the poet successfully embodied the feature of traditional Alegrian civilization, aiming to emphasize the interconnection between the self and the other.

Keywords:

imagology ; Travel literature ; Contemporary Arabic Poetry ;Hayzia poem

المؤلف المرسل: سماح طاجين، **الإيميل**: s.tadjine@univ-skikda.dz

1. مقدمة:

تُعد الصورولوجيا أو علم دراسة الصورة من أهم مباحث الأدب المقارن كونها تدخل في باب توطيد العلاقات الإنسانية والثقافية بين الأمم من خلال رصد انعكاسات وتأثير بلد فيمن زاره سواء كان رحالة أو أديبا عبر محطات مختلفة تؤثر تأثيرا كبيرا في شخصية ذلك الرحالة، ومن ثمة في كتاباته، فتهتم الصورة إذن "بدراسة وتحليل ورصد الصورة الثقافية، التي تُكونها {وتحملها}الشعوب عن بعضها البعض في سياق شروط موضوعية معينة" (ذاكر، 2014،ص26).

وقد ازدهر هذا العلم بشكل ملحوظ بسبب دوره في الانفتاح على الآخر وفي تحسين العلاقات بين الشعوب، واطلاعها على ما يحمله الآخرون من ثقافة وموروث حضاري وإنساني مختلف، وأيضا في معرفة كل امة مكانتها لدى غيرها من الأمم مما يُتيح لها أن تعرف نفسها أفضل من السابق، فدراسة الصورة أكبر من أن تكون مجرد أداة لتحقيق أغراض محددة تتحكم فيها مواقف سلبية أو ايجابية، بل عُدت "واقعا ثقافيا أجنبيا، يكشف عبره الفرد أو الجماعة المكونة له أو مروجته، عن الفضاء الأيديولوجي الذي يتموضع داخله" (علوش، 1986، ص114). من أجل ذلك انكبت الشعوب على دراستها والبحث فيها.

من هذا المنطلق حرص الأدب المقارن على تسجيل عادات وثقافات وآداب الشعوب المختلفة انطلاقا مما يسجله الرحالة أو الأدباء عن هذه الشعوب عبر الرحلات والأسفار والحروب التي تُعد من أهم الوسائل المساعدة على تشكيل الصور ذلك أنّ "الصورة المبنية على المعايشة اليومية والتجربة والممارسة أشمل وأوضح إلى الواقع؛ لأنّ الشعب المتأثر يتحدث عن تجربة مُعاشة مارسها زمنا مهما تكن ظروفها الخاصة بها" (حنون، 1986، ص78) بينما هناك مصادر أخرى تعمل على بناء الصور العقلية أو الذهنية للأفراد والتحكم في مواقفهم كوسائل الإعلام من تلفزيون وسينما والأنترنت.

والجزائر في صراعها الحضاري والعسكري والثقافي مع الآخر، وفي ثورتها التي أذهلت العالم أمكن لها أن تكون موضوعا لمثل هذه الدراسة التي يحركها مبحث الصورولوجيا، كما أمكن لها أن تكون موضوعا

للأدباء والرحالة العرب الفارين من جحيم الاستعمار أو من جحيم القيود الفكرية المسلطة عليهم مستلهمين من ثورتها المظفرة روح الكفاح والأمل في الحرية.

لذلك جاءت هذه الورقة العلمية لمحاورة النصوص العربية التي حاولت رسم صورة الجزائر بكل تناقضاتها وتجلياتها المختلفة وخاصة نصوص الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة، باعتباره رحالة أولا وأديبا ثانيا محاولين كشف العلاقة بين الأنا والنحن العربية ثم تجسيد قانون المثقافة الذي تعكسه نصوصه التي تحمل بصمات الجزائر في كل تمظهراتها ولاسيما قصيدة "**حيزية عاشقة من رذاذ الغابات**" التي نسجها على منوال الشاعر لجزائري الشعبي "ابن قيطون".

وقد قسمنا الدراسة إلى عناصر أساسية، تخدم الغرض الأساس منها، ركزنا في الجزء النظري على علاقة الشاعر "المناصرة" بالجزائر وسرّ تعلقه بها ،والرابط بين قصة حيزية وقصة جفرا وتأثيرهما في شعره،أما الجزء التطبيقي فتناولنا أهم الصور التي شكلها الشاعر عن المرأة حيزية التي وجد فيها فضاء تتعانق فيه مع قضية فلسطين القتيلة،وأيضا فضاء لرثاء عشيقته الشهيدة "جفرا"، معتمدين في ذلك على المنهج الموضوعاتي باعتباره الأنسب لمثل هذه الدراسات،حيث جمع الشاعر بين صورة المرأة في شخصيتي حيزية وجفرا لتصبح رمزا مركزيا يتجاوز البعد الفردي إلى القضايا الإنسانية والوطنية الكبرى.

2. أثر الجزائر في مسار حياة المناصرة

1.2 . تفاعل الأنا مع النحن العربية

يُعدُّ عز الدين المناصر أحد أبرز شعراء جيل الستينيات، وآخر الثوار الراحلين الأربعة محمود درويش وسميح قاسم وتوفيق زياد، أصدر العديد من الكتب المتخصصة في النقد والثقافة والفكر إلى جانب إصداره حوالي عشرين عملا شعريا.

عاش الشاعر المناصرة متنقلا بين العديد من بلدان العالم، من بينها الجزائر أين عمل أستاذا في الجامعة الجزائرية في الفترة ما بين {1983م-1991م}، فوجد في كنف هذا الوطن الحبيب (الجزائر) السند النفسي والدفء السخي، أحب الجزائر فعشقها وعاش فيها كأحد أبنائها خاصة وهو يشترك مع أهلها في اللغة والدين والوطن العربي الواحد.

أُعجب المناصرة ببسكرة فشكلت أحد عناصر إلهامه المهمة، خاصة هو شاعر رقيق، وبسكرة هي بلد الشعراء والمحبين على الرغم من أنها كانت تمثل المنفى المختار، فكتب عن بسكرة ووصف طبيعتها الساحرة لكنه لم ينس أن يذكر معاناته وأهله من ظلم اليهود فجعل "حيزية" صورة لبسكرة وللجزائر ككل، وجعل مريم العذراء صورة فلسطين، وحاول أن يجمع بين عذراء بسكرة وعذراء فلسطين، لتغدو الجزائر البلد الذي طالما تمناه "المناصرة".

فشكلت بذلك صور الجزائر المتعددة فضاء خاصا في قصيدته: "حيزية... عاشقة من رذاذ الواحات" التي استلهمها من القصيدة الشعبية "لابن قيطون"، مقرا بقراءة مختلفة للقصة في نص حداثي يقول: "زرت قبر حيزية في قرية قرب مدينة بسكرة، وتأثرت بالقصة، أما ما قدمته فهو نص حداثيّ من السهل الممتنع، وهو قراءة على قراءة ابن قيطون" (الله، 2005، ص69)، وهي القراءة التي اعتمد عليها في تشكيل نصه الجديد، وأمدته بطاقة تعبيرية هائلة مكنته من نسج قصيدة دقيقة الوصف على منوال القصيدة الشعبية، فحضرت السمات نفسها التي بنى عليها "ابن قيطون" نصه من مثل (تيمة المرأة، الموت، الرحلة، الفخر...) لكن المفارقة تكمن في سعي الشاعر إلى تحدي النص الشعبي بكل شهرته من خلال السخرية النقد اللاذع.

فلم يكن تفاعل قصيدة المناصرة مع القصيدة الشعبية تفاعل المحاكاة بقدر ما كان تفاعل المواجهة والنقد، اذ يبدو ذلك منذ الوهلة الأولى حينما اختار عزالدين المناصرة رواية أخرى لقصة حيزية كمرجعية لنصه الشعري، والرواية تقول بانتظار العاشق (سعيد) لحبيبته حيزية بين نخيل الواحة حينما جاءت متلفعة بثوب أسود، فظنها أحد الوشاة وأطلق النار عليها ليرديها قتيلة، فقد تكون هذه الرواية صحيحة ولعب الخيال الشعبي دورا كبيرا في إخفائها وإظهار قصة أخرى لكن الشاعر تعمد أن تكون حيزية القتيلة وليست الميتة.

ولّعله في ذلك يُريد أنّ يُوجه إلى أبناء فلسطين خطابا مشفرا باقتفاء آثار الجزائري في تضحياته وتفانيه التي أكسبته ثقة كبيرة في النفس انعكست في جل إبداعاته، وبخاصة قصيدة "حيزية" التي أراد من خلالها

إظهار قدرته في مواجهة أي نص بكل قدرته على التعبير والوصف، وبالتالي قدرة الفلسطيني على صنع تاريخ جديد لفلسطين الحرة تبقى الأجيال تردده وتفتخر به، وغزة في الطريق إلى ذلك.

2.2 بين حيزية الجزائر وجفرا الفلسطينية

تعتبر المرأة من التيمات المحورية في الشعر العربي بعامة، فمنذ العصر الجاهلي والوقوف على أطلال الحبيبة سنن لم يكد يحيد عنه أي شاعر، فهي الأم والأخت والزوجة والحبيبة، وهي الوطن أيضا.

لقد كانت المرأة الملهمة التي فعلت قريحة الشاعر عز الدين المناصرة بعد قصة حب قوية مع "جفرا" وهي طالبة فلسطينية ذات "19 سنة" كانت ستكلل بالزواج لكنها استشهدت بنيران طائرة إسرائيلية في غارة على بيروت لتتحول بعدها هذه القصة الواقعية إلى أسطورة شائعة الصيت فلسطينيا وعربيا وعالميا حينما نشر الشاعر "عز الدين المناصرة" قصيدته المشهورة {جفرا أمي إن غابت أمي} عام 1976، واسمها الحقيقي {جفرا إسماعيل النابلسي} الذي يُميزها عن جفرا التراث الأقدم تاريخيا كشفها "المناصرة" صدفة وصاغها وقدمها إلى الرأي العام سنة 1982 (المناصرة، 2013، ص 56)، فكان أبناء الشعب الفلسطيني كثيرا ما يُخلطون بينهما فيرددون قصتين في قصة.

ومثلما حقق "المناصرة" لحبيبته جفرا الأكثر قداسة وتأثيرا أن تطرق باب العالمية بعد أن تُرجمت إلى أكثر من عشرين لغة أجنبية بعد أن غناها "مارسيل خليفة" من لبنان، وبعد أن تحولت إلى فيلم يوغسلافي كذلك كان الأمر بالنسبة لـ"حيزية" الجزائر التي وجد فيها عشق آخر، إنّه عشق الوطن الكبير، وذلك أثناء إقامته بالجزائر وبالضبط في زياراته السنوية لمهرجان "آل خليفة" ببسكرة أين سمع بقصة حيزية مع ابن عمها "السعيد"،واغتنم الفرصة لزيارة قبرها الموجود في بلدة (سيدي خالد) وقرأ الفاتحة على قبرها وقيل أنه بكى حيزية لأنه تذكر حبيبته (جفرا).

وعُدت قصيدة "حيزية" التي نظمها الشاعر البدوي "ابن قيطون" من أشهر قصائد العرب الشعبية في الرثاء، والتي ألهمت الكثير من أدباء الشعر الفصيح، ويرجع سبب شهرتها كونها بُنيت على قصة حب في وقت كان إبداء المشاعر فيه ضربا من التمرد وتجاوز أعراف القبيلة.

فانبهر "المناصرة" بجمال حيزية وأُعجب بكل ما يُحيط حولها مُنشدا أبيات من الشعر الحر تفنن في رسم صورتها فتغزل بحيزية الخلاخيل، وحيزية الإحساس والإلهام، مستشعرا كل شيء، التمر في بسكرة وهو يشبهها... قلوب العشاق وهي تخفق بها حبا أو تقطعا... الشمع في كفها ثم حناءها في اليدين... أساها الذي فاق كل الحدود... إنها حيزية التي لم تكن تفقه من أمر القراءة شيئا، لتتحول بعد موتها إلى أكثر من قصيدة وبأكثر من جنسية.

3. صور المرأة الحيزية في شعر المناصرة

1.3 المرأة (حيزية)/ التقاليد العربية:

أحبت حيزية ابن عمها (سعيد) الراعي البسيط ورفضت من أجله كل خطابها، وقد عانى (سعيد) الويلات في سبيل الزواج بها من جراء عادات وتقاليد القبيلة العربية التي ترفض تزويج أبنائها لمن هم دون مستواهم.

ويقال أنه بعد اليوم الأربعين من زواجهما، وعند رجوع (سعيد) من رحلة الصيد وجد حيزية تحتضر على فراش الموت ثم ماتت بدون سبب لذلك. وهناك رأي آخر يذهب إلى أن موت حيزية كان نتيجة رفض والدها لزواجها من ابن عمها، وقد خرج العاشق المفجوع إلى الصحراء هائما على وجهه عدة أيام حتى أدرك الشاعر "ابن قيطون" فقص عليه حكايته التي خلدتها هذه القصيدة مدى الدهر (بورجي، 2011، ص 222).

ولعل أهم ما يمكن أن يلاحظه القارئ في نص المناصرة أنّه اختار رواية أخرى لقصة حيزية كمرجعية لنصه الشعري، فوصف مقتلها في مشهد مؤلم حينما اتجهت مُلثمة بثوب أسود إلى واحة النخيل موضع الدم الذي ينتظرها للقاء عشيقها "سعيد"، فظنها من الوشاة الذين كان يخشاهم فأطلق النار عليها ليردها قتيلة، وقد تعمد الشاعر أن تكون حيزية القتيلة وليس الميتة حتى يربطها بقضية فلسطين الحية القتيلة التي قتلت غدرا وخطأ في أحيان كثيرة.

ولا ضيم في أن الشاعر اتخذ هذه الرواية كمرجعية بالرغم من عدم شيوعها حتى يشتهر بهذه القصيدة أكثر من غيره الذين أثرت فيهم هذه القصة الشعبية شأنه في ذلك شأن قصيدة "جفرا" التي

دأبت الكثير من المواقع الالكترونية على سرد قصتها حتى تحولت إلى أسطورة شائعة الصيت، بالإضافة إلى تحدى الشاعر البدوي "ابن قيطون" الذي اعتمد رواية الموت بدل القتل، وكأني بالشاعر "المناصرة" حينما تفاعل مع القصيدة الشعبية لم يكن تفاعل محاكاة بقدر ما كان تفاعل المواجهة والنقد.

وفي موضع آخر نكاد نسمع نحيب المناصرة وشدة حزنه أولا على حبيبته (جفرا) التي اغتالتها نيران طائرة اسرائيلية في بيروت عام 1976، وثانيا على ضياع بلده وهلاكه والكل يتفنن في رؤية مشاهد القتل والتعذيب دون حراك، كل هذا في مفارقة مشهدية نقلنا من خلالها إلى المناطق الجميلة والساحرة التي تزخر بها الجزائر {تلمسان، جرجرة، جيجل، القل}، فهي تجمع بين الجبال الشامخة، والصحاري الواسعة، والشواطئ الساحرة، ما جعلها مصدر إبداع وإلهام يعكس التنوع الطبيعي والثقافي للبلاد.

مما سبق نجد أن الصورة التي حددها الشاعر في قصيدته للمرأة (حيزية) هي صورة سطحية، ركزت فقط على المظهر الخارجي وبالضبط على مواضع جمالها الفاتن: ثغرها، صدرها، خدها، طولها... فهي تتوفر على كل مقاييس الجمال الطبيعي، وحتى الأماكن التي حلت بها كان لها نصيب في القصيدة، أما شخصيتها وتصرفاتها وآراؤها فلا علم له بها، فاسحا بذلك المجال الواسع لقراءة هذا الجمال قراءات متعددة واتخاذه فضاء للغوص في خفايا النص الشعري الذي يلمح أكثر مما يصرح.

2.3 الصورة الطبيعية:

تجلت الصورة الطبيعة في قصيدة "حيزية" بصورة معبرة تفنن من خلالها الشاعر في رسم ملامحها عبر صور انفرد بها الوطن الجزائر بمشاهد طبيعية خلابة وأثار حضارية حركت في المناصرة المشاعر، والأفكار، وصعدت الحسد الذي تردد أكثر من أربعين مرة في هذه القصيدة التي انقسمت إلى ثمانية مقاطع تتراوح بين الطول والقصر.

استهل الشاعر قصيدته بمشهد الصحراء (الواحة الدموية) يقول:

أحسد الواحة الدموية هذا المساء

أحسد الأصدقاء

أحسد المتفرج والطاولات العتاق الإماء

القوارير أحسدها

والخلاخيل ذاهبة آيبة (المناصرة، 1990، ص10)

فالصحراء قرينة الخوف، والهلع في الشعر العربي القديم، فما من حديث عن الصحراء إلا وكان مجسدا لصلابة الصخور ولهب الشمس وزفير الرياح وعويل الوحوش الشوارد، مما يضفي على مشهد الصحراء رهبة في النفوس، أما (المساء) وهو زمن القصيدة، فهو بداية الليل، والليل زمن الحلم السرمدي، وحين يكون الزمن ليلا كثيف الظلمة يغدو قرينا للهموم والمواجع والأشواق، وهو ما عكسته قصيدة "حيزية" التي تبدو للوهلة الأولى أنها قصيدة غزلية لكنها في العمق تطرح حسرة وحزن عميقين على فلسطين المغتصبة.

جعل الشاعر صحراء الجزائر رمزا للشموخ والقوة واصفا جمالها بريشة فنان محترف وجد في جزائر "حيزية" الجمال والسلام الذي يتوق إليهما، فكان أن تنقل من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى أقصى الجنوب، ومن سطيف إلى تلمسان مرورا بالعاصمة، وجيجل، والقل إلى بسكرة، وأولاد جلال وصولا إلى الطاسيلي، وسطيف. إنها الطبيعة الخلابة التي أسرته بسحرها النادر مستحضرا في وقت نفسه معاناة أهله من ظلم اليهود، وحسرته على بلده الذي تمنى في كثير من قصائده أن يصبح يوما ما كالجزائر التي تعيش جمالا طبيعيا لا مثيل له.

ولم يتوقف عند هذا الحدّ، بل واصل التعبير عن غيرته وحسده لجمال حيزية "الجزائر"، فحسد الخيل التي تركبها، والطيور التي كانت ترعى بجانبها مثل: {البطاريق والحمام وغيرها}، وحتى الأشخاص المحيطين بها مثل: النساء الوصيفات وهن يرمين عليها السلام {**عليها السلام، عليها السلام، عليها السلام**}، لتلتحم حيزية بمريم العذراء – عليها السلام- مشكلة جسدا واحدا وروحا واحدة انعكست على الشعبين الجزائري والفلسطيني.

وذهب أيضا إلى أبعد من هذا حين حسد حتى القهوة التي كانت تقوم بطهيها وكأنها تسكبها في دمه، وغيرها من المشاهد التصويرية الأخرى تعكس مفعول السحر الذي مورس عليه حتى جعل كلماته

منسابة لا تتوقف، إنّها مشاعر الفقدان والغربة والضياع وغيرها من العوامل الأخرى التي أمدت الشاعر بهذه الطاقة التصويرية والدقة اللغوية لصناعة نص فصيح يحاكي نص شعبي ويتجاوزه.

وكأني بالشاعر في كل هذا الدوران والسعي عبر الزمان والمكان يسخر منا، ولكن سخر يراد به وصل الأنا بالنحن العربية، وذلك عبر حيزية الأنثى الجزائرية التي هي رمز لهذه الأرض الطيبة (الجزائر) التي يشترك مع أهلها في اللغة والدين والوطن العربي الواحد، فهي تجسد الهوية الوطنية، وتمثل في طياتها تاريخا طويلا من النضال والمقاومة، لتصبح صورة حية للأرض الجزائرية التي تحتفظ بجمالها وعراقتها رغم ما مر بها من صعاب وأهوال.

3.3 الصورة الثقافية:

ولأن الثقافة هي الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات، ولأن المرأة الجزائرية (حيزية) وقصتها هي مرتكز هذه القصيدة، فكان لا بد للصورة الثقافية أن تحضر مشكلة فضاء معرفيا من خلاله يكشف الشاعر عن عادات وتقاليد المجتمع الجزائري التي استمدها من القصيدة الشعبية للشاعر البدوي "ابن قيطون" (عزوني يا ملاح في رايس البنات).

فالقصيدة تسند إلى حكاية شعبية جزائرية بنيت على قصة حب (حيزية وسعيد) (أمين، 2007، ص42) في وقت كان إبداء المشاعر فيه ضربا من التمرد وتجاوز أعراف القبيلة، ومع ذلك أحبت حيزية ابن عمها الراعي البسيط ورفضت من أجله كل خطابها، كما عانى (سعيد) الويلات في سبيل الزواج بها، لكن العرف القبلي الصارمة حال دون لقاء الحبيبين، فحيزية ابن أحد الأشراف (أحمد بن الباي) في حين أن سعيد مجرد راع فقير، ومع ذلك هناك رواية تقول: "أنّ اللقاءات قد تكررت بينهما، مما سهل اكتشاف أمرهما، خاصة في تلك البيئة البدوية المحافظة، التي تُعرف بالشدة والقساوة خاصة إذا ما تعلق الأمر بمسألة الشرف (أمين، 2007، ص24)، لتنتهي القصة كما نقلها المخيال الشعبي بموت حيزية تاركة عشيقها هائما على وجهه في الصحراء في حالة تكاد تصل إلى الجنون، وهي الحكاية التي سكنت قلوب الناس، وألهمت "ابن قيطون" أهم قصيدة في حياته.

والمتتبع للقصيدة يلحظ أن الشاعر تحدث عن "ابن قيطون" وكأنه العاشق الحقيقي وأن (سعيد) من اختراعه، فالعرف يحول دون البوح بالمشاعر علانية، فتجده يسرد لنا طريقة التواصل بينهما من مثل: الورود والرسائل الملفوفة بالوتد التي قد تبقى مُعلقة لأيام تنظر ساعي البريد، وقد تُهمل بفعل عوامل المناخ مما يدل على صرامة العادات والتقاليد ومفعولها القوي على العقلية العربية وخاصة في البيئة الصحراوية المحافظة التي لا تتسامح مع كل هذه الممارسات، حيث تفرض قسوتها وظروفها الصعبة على الإنسان والنبات والحيوان.

كما أبدع المناصرة في وصف جمال حيزية على نفس المنوال الذي نسج عليه ابن "قيطون" في وصف الأجزاء الجسدية الأساسية التي تُشكل جمال حيزية مستعملا في ذلك صورا استعارية ذات فنية كبيرة خاصة في طريقة اشتغالها داخل النص يقول:

طلقت ممشوط طاح بروايح كي فاح حاجب فوق اللماح نونين بريا

خدك ورد الصباح وقرنفل وضاح الدم عليه سايح وقت الصحويا

الفم مثل العاج المضحك لعاج ريقك سي النعناع عسله شهايا (سونك، 1994، ص81)

فحيزية كانت زينتها الوحيدة ضفائرها وكحل عينيها ووشم الحنة في راحة يديها وأرجلها، إنه جمال المرأة العربية المفعم بالحياة والأمل الذي رسمه الشاعر رسما دقيقا، ولكن بنبرة من الحسد والغيرة المحمودتين، فتقدم فعل الحسد كل سطر شعري اشتمل على وصف المحاسن الجسدية التي تتمتع بها "حيزية"، فتطرق إلى: {حناءها، وخدها، فمها، صدرها}، وغيرها من مواضع الجمال في المرأة العربية الأصيلة التي انبهر بها "المناصرة".

كما نجده أيضا يصف علاقة حيزية بالمطر والرذاذ، وهي دلالات صوفية ترتبط بالنقاء والتجلي الروحي، لتتحول بذلك القصيدة إلى تجربة روحانية تتجاوز الحب البشري العادي. فحيزية ليست مجرد شخصية تاريخية، بل أصبحت رمزا للحب والعشق المطلق لما تحمله من دلالات ترتبط بالأرض والوطن، فالمرأة عنده "ليست هدفا بحد ذاته بل وسيلة للالتصاق والتوحد بين المرأة والأرض، وتختلط في الشعر الفلسطيني: المرأة/الأم، المرأة/الحبيبة/الأرض، كلها في حالة توحد مادي وروحي" (المناصرة، شاعرية التاريخ

و الأمكنة، 2000، ص89)، فحسد جمال حيزية المتعدد والمتنوع، من ورك، وخذ، وقد ممشوق، مُشيراً إلى جمال الجزائر الآسر في طبيعته وثقافته، ومتمنيا لوطنه بأن يغدو بلد الحرية العامر بالحب والسلام ويصبح رمزا للكرامة والانعتاق.

من هنا كان للجزائر دور كبير في حياة المناصرة خاصة وهي تشترك مع بلده في الدين واللغة والمصير المشترك والعادات والتقاليد، لذلك كان تفاعله معها ومع أهلها سريعا، إذ تعلم عاداتهم وتقاليدهم، واكتسب مكانة بانتمائه إلى المجتمع الجزائري الذي احتضنه وحاول تخفيف جراح غربته، فأصبح فردا فاعلا على مستوى الساحة الثقافية دون أن ينسى ولو للحظة الجحيم الذي يعيشه أهله في فلسطين.

4.3 الصورة الحضارية

على الرغم من أنّ المناصرة عاش مرارة الرحيل وفراق الأحبة،وتعرف على العديد من الهويات الثقافية" والعادات والتقاليد،لكن يبقى نداء الحنين إلى الوطن حاضرا في كل اللحظات،وفي كل المساحات الخيالية،ليحمله الجمال الخلاب الذي جمع حيزية بالجزائر إلى موطن {الخليل}المكان التاريخي والعاطفي،إذ يتوقف برهة وبخط عريض مخالف للخط الذي كان يكتب به الديوان مُشيرا من خلاله إلى وجوده المادي والروحي،إنّه الفضاء الملهم الذي يتواصل معه شاعريا حتى أنّه قال عنه:"كانت قريتي بني النعيم،ومدينتي الخليل،التي تضجع بالآثار الكنعانية القديمة، والزيتون الروماني، والمغاور الجبلية، كانت هذه الجغرافيا تأسرني". (المناصرة، شاعرية التاريخ والأمكنة، 2000، ص22) ليتحول بذلك المكان إلى نواة خفية يتواصل معها الشاعر في كل اللحظات، وفي كل المساحات الخيالية تواصلا عميقا، يحيل على روح الهوية الشخصية الفلسطينية.

فالخليل مركز العلة في قلب كل فلسطيني مهما تقرب أو عاش بعيدا عن هذا الوطن يذكره "الخليل" بهذا الجرح الغائر في داخله على طول الزمن مثل "سعيد" الذي عاش هائما على وجه في الصحراء يتلوى حزنا وألما على فراق حبيبته "حيزية". فيصف الشاعر مشهد قتلها وهو يستحضر في الوقت نفسه صورة قتل فلسطين حينما يقول: **"اذكروا رهبة القتل بين النخيل"**، إنها رهبة القتل والاغتصاب والقمع التي عاشها الإنسان العربي ومازال يعيشها في كنف الآخر (الغرب) الموسوم بالإجرام واللاإنسانية.

ولا شك أنّ في ذكر الشاعر لـ: "القتيلة زيتونة" ليست حيزية ولا ميسون كما قد يتراءى للقارئ منذ الوهلة الأولى، وإنما هي الشجرة المباركة التي نمت وارتوت من دماء الشهداء، فهي رمز للصمود والاستمرارية لقدرتها على العيش لآلاف السنين وتحملها للظروف المناخية الصعبة

وبريشة كذلك ممزوجة بالدم والألم يستحضر المشاهد المؤلمة التي تركت بداخله كل فلسطيني ألما وجرحا عميقين، فمشهد الجريح الذي علق من جناحه على الثلج في أعالي جبال جرجرة، يحيلنا على جبال الأرز بلبنان حين امتزج بياض الثلج بحمرة الدماء القانية في مجزرة السفاح شارون التي تُعد من أكبر الفصول المأساوية في التاريخ المعاصر للقضية الفلسطينية، وترمز للكثير من الآلام التي عانى منها الشعب الفلسطيني.

كما نجد الشاعر هائم على وجه في صحراء العرب يبحث عن هويته المفقودة، بل عن رمز متجذر لفلسطين، فلم يجد بديلا عن الطاسيلي قلب الصحراء الجزائرية معادلا موضوعيا لرمز موغل في ذاته، فالأنا حين تنظر إلى الأخر لا تنقل صورته فقط لكنها تنقل صورتها الذاتية.ليواصل في الأبيات الأخيرة الإعلان عن غيرته وحسده للشاعر "ابن قيطون" ولقصيدته ولحيزية التي سكنت قلوب النّاس حتّى أنّه يفتخر بنفسه وبنيله من حبيبته على مرأى من جميع النّاس عكس ابن "قيطون" الذي استهلها بمخاطبة الأصدقاء والبكاء على الأطلال ثم الانتقال إلى النسيب ووصف المرأة ثم وصف الرحلة والراحلة إلى أن تصل إلى الموضوع الأساس وهو رثاء حيزية.

هكذا أيقظت نقوش الطاسيلي ماضي الدولة الفلسطينية الممثلة في الدولة الكنعانية، ليبقى الصراع بين (الكنعنة والهيكل المزعوم) قائما إلى حين، مثلما أيقظ "الخليل" وغيرها الأماكن والأسماء مشاعر الألم والعذاب المناصرة الذي جعلها مثالا حيّا لتغريبة الفلسطيني وملحمة العذاب، من الوطن إلى السجن، من الحرية إلى القيد، ليؤسس لشعرية الشتات التي تتحول إلى فضاء إبداعي يتقاطع فيه الذاتي مع الجمعي، مُشكلةً بعداً إنسانياً عابراً للزمان والمكان.

4. خاتمة:

تمكن عزالدين المناصرة أن يجمع بين الرحلة وأدب الرحلة، فكان رحالة في الجزائر لعدة سنوات خبر فيها البلد وأهله، وأُعجب بطبيعة ماءه وهواءه مما حذا به نظم قصيدة "حيزية" التي نسجها على منوال القصيدة الشعبية فجعل حيزيه الأنثى الجزائرية تعانق الأنثى الفلسطينية الساعية إلى الحب والسلام والحرية، وفي ذلك جمع بين الشعبين الجزائري والفلسطيني، في محاولة منه لجعل قصيدته شمولية، تبتعد عن الأحداث الآنية، وهو ما يجعل الدلالة مفتوحة على آفاق القراءات المختلفة.

كما استطاع أن يجسد ملامح الحضارة الجزائرية التقليدية، فصور جمال الصحراء الجزائرية وأجواء الحياة التقليدية بتفاصيلها، لتتجاوز بذلك القصيدة كونها عملا شعريا لتصبح وثيقة أدبية تجسد عمق وتنوع التراث الثقافي والحضاري للجزائر.

وقد استحضر في قصيدة حيزيه كل هذا التعالق بين المجتمعين الجزائري والفلسطيني من خلال تمنياته بأن تصبح بلده يوما ما كهذا البلد الذي يعيش جمالا طبيعيا لا مثيل له، وتلاحما قلما نجده بين المجتمعات العربية.

5. الإحالات والمراجع:

.ذاكر،ع .ا .(2014) .الصورة...الأنا،الآخر،الرباط،المغرب،منشورات الزمن.

.علوش،س .(1986) .اشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي،الدار البيضاء،المغرب،المركز الثقافي.

.حنون،،ع .ا(1986) .،صورة الفرنسي في الرواية المغربية،الجزائر،ديوان المطبوعات.

.الله،،ل.،(2005) التناص المعرفي في شعر عزالدين المناصرة.، عمان،الأردن،مجدلاوي للنشر والتوزيع.

.بورجي،خ .م ,2011) .نوفمبر (15، حيزية المأة التي تحولت الى قصيدتين بجنسيتين في أشعار الجزائري)اب قيطون(والفلسطيني)المناصرة،اصوات الشمال 222 .p

.المناصرة،ع .(2013)جفرا الشهيدة،وجفرا التراث،عمان،الأردن، دار الصايل.

.المناصرة،ع .(1990) قصيدة حيزية،ديوان يتوهج كنعان،الأردن، دار الكرمل.

.أمين،ا .(2007) .صور مشرفة من الشعر الشعبي الجزائري،الجزائر،دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع.

. سونك،ل .(1994) .الديوان المُعرب في أقوال عرب افريقية والمغرب) .ا .امي، (.Trans ,الجزائر،دار موفم للنشر.

.المناصرة، ع .(2000) .شاعرية التاريخ و الأمكنة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

.المناصرة،ع .(2000) .شاعرية التاريخ والأمكنة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.